مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٢٩/٢٠٠٨ هـ.ق، العدد ١٥ (٣) ٨٩-١١٠

إشكالية المنحى الفقهي للمدرسة التفسيرية الاندلسية حتى القرن السابع الهجري

كاظم قاضي‌زاده[١] ، صادق آيينه‌وند[٢]، رضية رجب طهمازي[٣]

تاريخ الوصول: ١٤٢٨/١/٨ تاريخ القبول: ١٤٢٨/٧/١٤

بحثنا سيتناول الجواب على هذا السؤال: لماذا كثرت التفاسير الفقهية او الاجتهأدية تحت عنوان (أحكام القرآن) في الاندلس حتى القرن السابع؟

دراستنا استقرأت المصادر التاريخية و التفسيرية واعتمدت على الوصف و الاستنباط النقدي هادفة كشف العوامل المؤدية الى توجيه المدرسة التفسيرية نحو الفقه، وابرزها مايأتي: الارادة السياسية الأموية – القراءات وأثرها في ظهور المذاهب – طبيعة الاندلسيين الاجتماعية و العقائدية – رد الاعتبار الى المذهب السني – ظهور حكومات دينية سلفية.

علي ضوء العوامل المذكورة، فُسح المجال لأن تتصدر القراءات القرآنية أمور المسلمين في الاندلس، مما أدى الى استغراقهم فيها وانشغالهم بها، وبالنتيجة ابعادهم عن مدارسة القرآن و الحديث حتى القرن الثالث.

بديهيا أن اختلاف القراءات القرآنية يستتلي بيان أحكام آياته، وظهور مذاهب وتيارات فقهية، فسر كل منها مايعزز مذهبها ويضعف غيرها، فظهرت التفاسير الفقهية او الاجتهأدية.

بدأت الحركة التفسيرية في الاندلس متأخرة، فبرزت بواكيرها في القرن الثالث، و كانت الدولة

١. استاذ علوم القرآن و الحديث، عضو الهيئة العلمية بجامعة تربيت مدرس – طهران

٢. استاذ التاريخ، جامعة تربيت مدرس طهران

٣. – طالبة في قسم علوم القرآن و الحديث ، مرحلة الدكتوراه في جامعة تربيت مدرس – طهران

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

الأموية قد فرضت المذهب المالكي الحديثي السلفي عليهم، فنما وترعرع التفسير في عهد المرابطين السلفيين، و بلغ أشده على يد الشيخ ابن عطية في عصر الموحدين ثم نضج في القرن السابع بعد أن فتح القرطبي باب الاجتهاد علي مصراعيه وجمع شمل المذاهب الأربعة بتفسيره (الجامع لأحكام القرآن..) الذي يمكن اعتباره خاتمة هذا المنحى الفقهي لتلك القرون.

الكلمات الرئيسية: المدرسة التفسيرية الاندلسية، القراءات القرآنية، التفسير الفقهي، صراع المذاهب، أحكام القرآن.

المقدمة

خرّجت الأندلس في القرون السبع الأولى مفسرين صنفوا تفاسير غلب عليها الطابع الفقهي او الاجتهأدى تحت عنوان (أحكام القرآن) بحاجة الى دراسة العوامل التي وجهتها نحو هذا المنحى.

لقد تعرض عدد من ا لدارسين لهذه المدرسة التفسيرية، في دراستهم العامة[1] و الخاصة[2]، شملت الأولى منها دراسة لهذه المدرسة منذ نشأتها حتى القرن المعاصر، بعرض سريع لمفسرها من حيث النشأة والمنهج و المنحى التفسيري مع ذكر بعض العوامل التي دفعتهم لذلك المنحى أحيانا.

أما الثانية فأنها تناولت كل مفسر على حدة تناولا تفصيليا يميل الى التحيز.

هذه الدراسات اقتصرت على بيان الظرف الزمكاني المقطعي للمفسر دون مراجعة السلسلة الزمنية التي يشكل ظرف كل مفسر و نتاجه احدى حلقاتها.

لقد اشتركت المدرستان التفسيريتان: المشرقية و المغربية في المنحى الفقهي و ظهور تفاسير (أحكام القرآن)[3] للقرنين الثالث و الرابع، حيث تبلورت المذاهب الاربعة فيها

١. انظر: المشيني، مصطفي،المدرسة التفسيرية الاندلسية،١٩٨٦، بيروت، مؤسسة الرسالة؛ طرهوني، محمد رزق،التفسير والمفسرون في غرب افريقيا؛١٤٢٦هـ،ط-١، السعودية، الدمام، دارابن الجوزي

٢. انظر: القصبي زلط، القرطبي ومنهجه في التفسير- الفِرت ، يوسف عبد الرحمن ، القرطبي المفسر، سيرة ومنهج؛ بلعم، مفتاح السنوسي، القرطبي وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير

٣. المشرقية:حاز المذهب الشافعي على قصب السبق في تصنيف أحكام القرآن فكان اوله لمحمد بن ادريس الشافعي(ت٢٠٤هـ) ثم ظهر لـ: اسماعيل بن اسحاق الجهضمي الأزدي المالكي(ت٢٠٢ أو ٢٨٢هـ)- و احمد بن المعذل المالكي(ت٢٧٥هـ) – و داود الظاهري (ت٢٩٢هـ) – و احمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي(ت٣٢١هـ) – وبكر بن محمد بن العلاء المالكي (ت٣٤٤هـ) - وعلي بن موسي الفقيه القمي الحنفي(ت٣٥٠هـ)- وأبوبكر الجصاص الحنفي(ت٣٧٠خـ) – ثم ابواحسن علي بن محمد الكيا لهراسي الشافعي (ت٥٠٤هـ). انظر: حاجي خليفة،مصطفي بن عبدالله القسطنطيني الرومي(ت١٠٦٧)،١٤١٢، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون: ١/ ٥٧ ، بيروت دارالكتب العلمية؛ الداوودي، طبقات المفسرين:/١٢، ٤٤، ٥٥ .

اما المغربية: فكان كل مصنفيهم لأحكام القرآن من المالكية ، أولهم: محمد بن سحنون ، عبد السلام(ت ٢٥٦) ثم منذر بن سعيد البلوطي القرطبي (ت ٣٠٣ أو ٢٩٣ او ٣٥٥ هـ)– ثم ابو محمد القاسم بن اصبغ القرطبي (ت ٣٤٠)– احمد بن علي بن احمد بن محمد بن عبدالله الربعي الباغاني ابوالعباس مقرئ مسجد الجامع بقرطبة(ت ٤٠١)- واحمدبن محمدبن عبد الله المعافري المالكي (ت ٤٢٩ عند الداوودي و ٥٤٣ عند الادنوي) ثم ابومحمدمكي بن ابي طالب حمّوش بن محمد القيسي (ت٤٣٧هـ) له (مختصر أحكام القرآن) ثم ابوبكر محمدبن محمدبن عبدالله بن العربي (ت٥٤٣) ثم عبدالمنعم بن محمدبن فراس الغرناطي(ت٥٩٧) ثم محمدبن احمد بن فرح القرطبي الانصاري (ت ٦٧١هـ) وكأنه أراد حتمها بجمعها في تفسيره الذي سماه(الجامع لأحكام القرآن..). انظر: الادنروي،احمدبن محمد١٩٩٧، تح: سليمان بن صالح الخزي،المدينة المنورة، مكتبة العلوم و الحكمة؛ طبقات المفسرين / و: المقري،احمدبن محمد،١٩٨٨، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب: ٢/٢٢ و ٤/١٦٩.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

متنافسة؛ بينما في الاندلس المالكية فأنها لم تفتأ تتجاذب (أحكام القرآن)[1] حتى القرن السابع، مما يثير التساؤل عن العوامل و الاسباب المؤدية لذلك، وهذا مالم نجد العرض له بصورة جذرية و تاريخية[2]، الامر الذي شجعنا على تقديم مانأمله لسد هذه الثغرة و التذكير بعائدها السلبى على الأمة.

من البديهيّ انّ دراسة كهذه تستوجب مراجعة المصادر التاريخية[3] و التفسيرية[4] ذات الصلة بالظروف الزمانية و المكانية لهذه البقعة، بمنهج تاريخي – وصفي يميل الى الاستنباط النقدي احيانا بهدف كشف العوامل الدخيلة في توجيه المدرسة التفسيرية الاندلسية نحو الفقه.

كانت الاندلس مسيحية تابعة للامبراطورية الرومانية الارستقراطية وكانت تحت القوط، فعادوا الى عبادة الاوثان لإهمالهم و استعبادهم وكانوا من الأدنين ، مما جعلهم يستقبلون الاسلام برحابة صدر لحاجتهم الى كتاب سماوي يواجهون على اساسه حملة الكتاب السماوي من أصحاب المناصب الحكومية، ويضمن حقوقهم و ينقذهم من الطبقية و العبودية.

لأسباب، نحي الائمة من ذرية الرسول (ص) عن الخلافة و أقصوا عن الساحة السياسية بالنهي عن ذكر فضائلهم ومناقبهم و إبعاد المسلمين عن التفسير الروائي و ذكر أسباب النزول لطمس الحقائق المتعلقة بهم و بالعدول من الصحابة، مما فسح المجال لترويج القراءات القرآنية و الفقه و شغل المسلمون العامة عن مدارسة القرآن و الحديث الى فترة متأخرة، خاصة في الشام و الاندلس، في حين كان الخاصة من أتباع ال البيت (ع) في العراق و الحجاز يتداولون تفاسير ائمتهم الذين اخذوها عن جدهم رسول الله (ص) ومن بعده الامام علي بن ابي طالب صدر المفسرين والذي دونها تلاميذه اولهم عبدالله بن عباس الذي تجرد للأمر و كمله و تبعه العلماء على ذلك كمجاهد وسعيدبن جبير وغيرهما[5].

دعي القراء من الصحابة و التابعين بلهجاتهم القرآنية، الى شمال افريقيا لتعليم القرآن،و دخلوا الاندلس مع جيش الفتح و انتشروا في المساجد التي اهتمت الحكومة الاموية بإعمارها ثم أدخل التابعون مصحف عثمان الخالي من النقط و الشَكل .

سارع الاندلسيون' كغيرهم من المسلمين' لتعلم القرآن على اختلاف حروفه و معانيه و غريبه و مشكله على اولئك القراء، فكثر الفقهاء و علماء القراءات و راحوا يصنفون و يؤلفون تفاسير مستندين إليها، مما أدى الى ظهور مذاهب و تيارات مختلفة؛ راح علماء كل فريق يفسر مايعزز مذهبه و

---

١. ظهر لكل مذهب تأليف واحد تحت هذا العنوان واحيانا اثنين، اما المالكية وحدهم، و خصوصا في الاندلس فقد ظهرت لهم في المشرق مالايقل عن اثنين، وفي المغرب مالايقل عن تسعة، وقد ختمها القرطبي بـ (الجامع لأحكام القرآن ..).

٢. انظر: محمدرزق طرهوني: ٥٣٢/٢، لايشير بأية اشارة الى دور الحكومات و الولاة، بل يقتصر على ذكر ثلاث عوامل: اجتماعية و فقهية فكرية غاضا النظر عن الاسباب التي ادت بظهور او خلق هذه العوامل.

٣. من أهمها: الكامل في التاريخ لابن الاثير، البداية والنهاية لابن كثير و الديباج المذهب لابن فرحون المالكي، ١٣٥١، دارالكتب العلمية- الاحاطة في اخبارغرناطة، لسان الدين الخطيب، القاهرة،١٩٧٣ ، القاهرة مكتبة الخانجي – البيان المغرب لابن عذاري – رياض النفوس للمالكي – تاريخ علماء الاندلس – الموسوعة العامة لتاريخ المغرب لزبيب نجيب – الحضارة المغربية للحسن السائح- مقدمة ابن خلدون – نفح الطيب للمقري التلمساني – كشف الظنون لحاجي خليفة – تواريخ الادب العربي لـ : بروكلمان ، وعمر فروخ، وتواريخ الاسلام للمؤرخين المعاصرين امثال : حسن ابراهيم حسن و عبدالعزيز سالم و احمد مختار العبادي و رسول جعفريان و محمودالبستاني و محمدفتحي عثمان و احسان عباس و ...

٤. التفسير والمفسرون للذهبي، و التفسير والمفسرون ، محمدهادي معرفت

٥. انظر: ابن عطية ، المحرر الوجيز: ١٨/١

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

ينافس به غيره في الظهور، مما دفع التفسير نحو الاتجاه الفقهي، فصار في البدء مفرّقا للمذاهب و باعثا على صراعها- ثم صار مؤلفا لشملها بعد فتح باب الاجتهاد و إنهاء التقليد- ولكن على غيرها من المذاهب الاسلامية.

تأخرت الحركة التفسيرية في الاندلس، حيث برزت بواكيرها في القرن الثالث،وكان قد فرض عليهم المذهب المالكي الحديثي السلفي، فنما و ترعرع التفسير في عهد المرابطين السلفيين، و بلغ أشده على يد الشيخ ابن عطية في عصر الموحدين الدينية ثم نضج في القرن السابع بعد أن فتح القرطبي باب الاجتهاد على مصراعيه و جمع شمل المذاهب الاربعة بتفسيره (الجامع لأحكام القرآن...) الذي يمكن اعتباره خاتمة المنحى التفسيري الفقهي.

إن ابرز العوامل التي شجعت السياسة الاموية العنصرية على ظهورها هي: **الارادة السياسة الاموية- القراءات القرآنية واثرها على ظهور المذاهب – طبيعة الاندلسيين الاجتماعية و العقيدية- رد الاعتبار الى المذهب السني – و ظهور حكومات دينية سلفية**؛ أدت الى اعتبار اختلاف القراءات أصلا و ركنا من أركان التفسير الفقهي، فبذلك ظهرت مذاهب و نحل متصارعة آلت الى تصدع الامة و تشتتها الى يومنا هذا، حيث اتخذ الكفار وأعداء الاسلام ذلك ذريعة لهم في حربهم ضد الاسلام و المسلمين لتصدع صفهم بهدف القضاء عليهم و إبادتهم "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون".

إن النتاج كالحدث لم يكن وليد ساعة، انما هو مخاض عن سلسلة من المراحل و الاحداث بعواملها، اجتمعت في بحر الزمن المتلاطم، ثم أُلقيَ بها الى الساحل، و صار في متناول الاجيال المتعاقبة، وعليه، لابد من إحالة النظر في المصادر التاريخية واستنطاقها لبيان العوامل المؤثرة، والتي بدت لنا كما يآتي:

١- الارادة السياسة الأموية

لأسباب، نحي الائمة من ذرية الرسول (ص) عن الخلافة و أقصوا عن الساحة السياسية بالنهي عن ذكر مناقبهم [١] ، مما أدى الى حدوث شرخ عظيم على الصعيدين الديني و الثقافي، عمل الامويون على سدّه باختيار علماء وفقهاء على صلة طيبة بالخليفة من الشام و الجزيرة للمشاركة في التربية بتعليم القرآن و الفقه في الجوامع داخل و خارج بلادهم. و اختاروا من بينهم أيضا رجال البلاط و كبار موظفي الدولة في مجالات الادارة المدنية و الجيش؛ فكان هؤلاء العلماء و الفقهاء من الصحابة و التابعين يديرون الكتاتيب و المساجد في الامصار المفتوحة لتعليم الجند الذين يشكلون غالبية المسلمين في عهدهم، و أبناء العامة من تلك الامصار القراءات القرآنية و الكتابة؛ و تعليم أبناء الخلفاء و خاصتهم تربية واسعة تضم دراسة الدين و اللغة والادب و العلوم و الفنون و الفروسية و قواعد السلوك، مايؤهلهم للوظائف الجليلة التي يتوقع منهم أن يشغلوها[٢]. وشجع الخلفاء الامويون القراءات القرآنية بمكافئة مقرئيها جوائز ثمينة[٣].

السياسة الاموية السالفة الذكر أدت الى استغراق المسلمين و انشغالهم بالقراءات القرآنية[٤] و حالت دون فهم

١.انظر: ملكة أبيض ، التربية الثقافية .../١٣٥، ٩٨-٩٩ بتصرف

٢. انظر: م.ن/٣٦٨، ٣٧٣، ٣٦٩، ٩٥، ١٠٨ ،١٠٩، ٢٦٠-٢٦١ بتصرف

٣. م.ن/١٢٤ عن : ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٥/١٦٠- ١٦١؛ وانظر: ابن كثير، البداية و النهاية : ٩/٢٠١

٤.ذكر ابن خلدون ان سبب اقتصار المغاربة على حفظ القرآن باختلاف قراءاته فقط في تعليم صبيانهم هو: لئلا يخلطوا ذلك بسواه في شئ من مجالس تعليمهم. انظر: المقدمة:١/٣٤٢ . و يؤيد ذلك واقعهم، حيث لازالت، وبعد مرور قرون،

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

القرآن العميق الذي يستند الى التفسير الروائي النابع عن مدرسة اهل البيت و العدول من الصحابة[١] .

لتبيين الجو الذي ساده الأمويون، ننقل الرواية الاتية، سواء كانت صحيحة ام لا، فأنها تعكس امرا واحدا وهو إشتغال المسلمين بالقراءات و تأخر التفسير في الامصار التي كانت تحت سلطتهم المباشرة، كالشام و الاندلس[٢].

الرواية تتضمن حواراً بين معاوية بن ابي سفيان و ابن عباس (رض) الذي دعا له النبي (ص) أن يفقهه في الدين و يعلمه التأويل، و تحقق له ذلك بتتلمذه على الامام علي بن ابي طالب[٣] .

" وقال معاوية لابن عباس : إنا كتبنا في الافاق نهي عن ذكر مناقب على، فكف لسانك. قال: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، قال: آفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم. قال: أفنقرأ ولا نسأل؟ قال [معاوية]: سل عن غير أهل بيتك؛ قال: أنه مترل علينا، أفنسأل غيرها، أفتنهانا أن نعبد الله؟ فإذاً تملك الأمة. قال: اقرأوا ولا تروا ماأنزل الله فيكم. ثم نأدى: أن برئت الذمة ممن روي حديثا عن مناقب عليّ حتى قال عبدالله بن شداد الليثي: وددت أن أترك أن أحدث بفضائل علي بن ابي طالب يوما الى الليل وإن عنقي ضربت. فكان المحدث بحديث في الفقه او يأتي بحديث المبارزة فيقول: قال رجل من قريش. وكان عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول: حدثني رجل من اصحاب رسول الله. وكان الحسن البصري يقول: قال أبو زينب."[٤]

لم يكتف معاوية بذلك، بل قاد بنفسه الصراعات التي أثارها في خلافة الامام علي (ع) والتي أدت الى تصدع الجماعة العقيدية بسبب مخالفات القاعدين و الناكثين والقاسطين و المارقين، و إحلال (الجماعة السياسية) محلها[٥].

استمال معاوية العثمانية[٦]، و حتى بعض ثقات الامام علي[٧] بثروة بيت مال المسلمين[٨]، وقوى مركزهم بتقربهم الى مجالسه و أكرمهم بالصلات و المهام ، فتأسس مذهب العثمانية[٩] ،الذي كان يعرف بمذهب النابتة[١٠] والنواصب[١١]؛ و صاروا يأمرون و ينهون وفق مراميه

فئة عريضة من المغاربة،خصوصا في البوادي، تمتنع عن قراءة غير القرآن مخالفة ان يشغلهم ذلك عنه وعن حفظه. و يعدد دواعي اهتمام المغاربة بالقراءات، قديما و حديثا، و يعزي تلك الدواعى الى انها جوهرية و غيرها، يمكن للقارئ أن يشم منها رائحة السياسة المفروضة على المغاربة في تشجيعهم للقراءات انظر: ابراهيم الوافي، القراءات في ..../ص ١٥و ٣١-٣٨

١. انظر: ملكة أبيض، السابق/٩٩: تبرير المؤلفة منع تدوين الحديث و النهي عن ذكر أحاديث الرسول الاكرم (ص)

٢. انظر: م.ن /صص ٢٧٦-٢٧٧ بتصرف

٣.انظر: مسند احمد بن حنبل : ١/٢٦٦،

٤. ابن شهر آشوب : مناقب آل ابي طالب،١٣٦٧ : ١٧٤/٢؛ النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية

٥. انظر: رسول جعفريان، تاريخ تحول دولت و خلافت /١٦٠-١٦١؛ و انظر: ملكة أبيض ، السابق/

٦. العثمانية: كتلة عقائدية فكرية ظهرت بعد مقتل الخليفة عثمان، اقتصرت آراؤها على شخص عثمان دون أسرته وبني امية؛ و لم يكونوا حزبا. ومنهم في اليمن بايعوا لعلي.انظر: احمدصالح العلي، الكوفة وأهلها../٤٩٣، ٤٩٧ ، وكانوا يعتقدون بتفضيله و القول بمظلوميته . ابن العربي العواصم من القواصم، قاصمة ص ٢٤٤، دارالجبل،دون تاريخ؛ ولكن بسياسة الامويين السالفة الذكر، وبعد مقتل محمدبن ابي بكر طالبوا بدم عثمان. انظر: احمدصالح العلي، السابق/٤٩٤؛ الثقفي ، الغارات: ٣٧٨/٢-٣٧٩،٣٨٤؛ وانظر: الجاحظ، العثمانية/٢٠٤ و المسعودي، التنبيه والاشراف /٢٩١؛ البلاذري، انساب الاشراف: ٤٥٣.

٧. نصر بن مزاحم، وقعة صفين/٤٣٤

٨. انظر: البلاذري، انساب الاشراف :٣٨٣ و ٤٥٣؛ سيد قطب ، العدالة الاجتماعية/١٥٩، ١٦١، ١٦٨

٩.انظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٥٣/٣؛ العلي، السابق/٤٩٦

١٠. النابتة: جماعة ظهرت بعد مقتل عثمان، يعتقدون بالتشبيه و الجبر، يتزهون معاوية وابنه يزيد و يكفّرون من يجوز لعنهم، وينكرون خلق القرآن و يكفرون القائلين به. انظر: رسالة الجاحظ السياسية/١٤،١٢،١١،١٥؛.

١١. انظر:رسول جعفريان،السابق/١٥٩. كان اهل الشام نواصب انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال:١٣٨،ج١/ص٧٦، بيروت، دارالمعرفة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

وتحقيق أهدافه[1]، فدمجهم مع حزبه لتعزيز جبهته، و ثبت حكمه بهم[2]، ثم عاد و استتر بهم بالمطالبة بدم عثمان، حتى أعلن ولايته على البصرة و إجهاره العداء لعلي و شيعته، بقوله:"أهل البصرة لنا و لعلي و شيعته عدواً"[3].

ظهر ، نتيجة هذه السياسة، اتجاهان متضادان و مختلفان كما و كيفاً في سعة انتشاره في البلاد الاسلامية ، وهما كما يأتي:

١-التشيع الذي انتشر في العراق، وسمي الاتجاه الشيعي او العلوي، والذي يكون أضعف مراتبه رفض عثمان و تأييد خلافة الامام علي؛ و أكمل مراتبه إثبات إمامة عليّ ابن ابي طالب بعد النبي (ص) و تفضيله على الخلفاء.

٢-الاتجاه العثماني المغالي الذي تبلور بعد معركتي الجمل و صفين، واندحر في الاولِ و بقيت آثاره في البصرة و اشتهر أهلها بـــ(العثمانية)[4]، وكان معاوية يتباهي بهم[5]. وكان الغلبة لهذا الاتجاه في العهد الاموي، و حكم العراق[6]، و صاروا يقعون في علي بن ابي طالب و يثبطون الناس عن الحسين[7].

إن تصدع الصف الاسلامي، و تشتت جمعه و تعدد فرقه كان من أبرز نتائج تلك السياسة، و أشدها وقعا و ألما على المجتمع الاسلامي والمسلمين.

٢- القراءات القرآنية و الفقه و أثره في ظهور المذاهب

إن تغييب السنة النبوية الشريفة بمنع تدوينـــها، و إقـــصاء المسلمين عن أهل بيت النبوة؛ و وجود مصحف عثمـــان الخالي من النقط و الشكل و المزعوم باحتمالـــه لأوجـــه القراءات، مهد الأرضية لتوجيه المسلمين الى تعلم القـــرآن على اختلاف قراءاته، التي يظهـــر معهـــا الاخـــتلاف في الاحكام[8] و يستتلي الحاجة الى فقهاء لبيانها؛ فكثر الفقهاء و تدخلوا في شؤون الدولة، فأثروا على تماسك المسلمين و وحدة أراضيهم[9].

كانت أول مجموعة أعلنت رضاها بقبول التحكيم هي مجموعة القراء في الكوفة، و أظهروا عـــدم استـــسلامهم لأوامر علي بن ابي طالب دون أن يعلنوا خلـــع خلافتـــه، وعادوا منفصلين، فأغدق عليهم المصعب، وكانت جماعات اخرى من القراء في الشام و البصرة تجمعهم سمات مشتركة وأسس تنظيم واحدة[10]، وكانوا مستقلين أقليميـــا. أمـــا مجموعة الشام[11]، فقد وُجهت اتجاهات معينـــة وأقـــاموا

١. انظر: البلاذري، انساب الاشراف: ٤٢٥

٢. انظر: العلي، السابق/٤٩٦ بتصرف

٣.انظر: ابن العربي، العواصم من القواصم، قاصمة ص ٢٤٤ بتصرف ؛ البلاذري، انساب الاشراف:٤٢١ ، ٤٢٥، ٢٩٧، ٤٥٣؛ الثقفي، الغارات ٣٧٧/٢؛ ابـــن سعد، الطبقات الكبري ٣٣٣/٦.

٤. انظر: ابن سعد، السابق:٣٣٣/٦ ، الـــبلاذري، الانـــساب :٤٢١؛ الثقفـــي، الغارات ٣٧٧/٢ ، احمد مختار العبادي، في التاريخ العباســـي والفـــاطمي /٢٢، بيروت ، دارالنهضة العربية.

٥. انظر: الثقفي، الغارات : ٣٧٧/٢.

٦. جعفريان، السابق/١٦٣.

٧. انظر: احمدبن يحيي البلاذري، فتوح البلـــدان، ١٣٧٩، : ٣٧٨/٢ القـــاهرة، مكتبة النهضة؛ تاريخ الطبري : ٢٣/٥؛ البلاذري ، انساب الاشراف : ٢٣٣

٨. السيوطي، جلال الـــدين عبـــدالرحمن،الاتقان في علـــوم القـــرآن، ١٩٧٣،: ١٨٠/١، بيروت، المكتبة الثقافية

٩. انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام...:٥٤٠/٤؛ و نجيـــب زبيـــب ، الموسوعة العامة لتـــاريخ المغـــرب و الانـــدلس: ٣٧٢/٢؛ و الـــذنون، افـــاق غرناطة/١١٥ و زبيب، الـــسابق: ٤٠٤/٢-٤٠٥ ؛ وانظـــر: ملكـــة أبـــيض، السابق/١٢٨ عن: فلهاوزن، تاريخ الدولة العربيـــة /صـــص٢٥٦- ٢٥٨، عـــن الطبري: ١٣٤٠/٢ فما بعد

١٠. يقصد بها رابطة الاتجاه العثماني. انظر: العلي ، السابق/٤٩٣، ٤٩٤

١١. عرفوا بالنصب للإمام علي وكانوا شيعة معاوية. انظـــر : الـــذهبي، ميـــزان الاعتدال:٧٦/١

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

حججهم على القرآن[1] وكانوا في صفين في ميمنة أهل الشام مع جيش معاوية وعددهم أربعة آلاف و لحق عدد منهم بعلي[2] .

مما تقدم، صار القراء من الصحابة والتابعية الى فريقين، انضم أحدهم الى الجانب الاموي و الاخر الى الجانب العلوي، و بهذه الصفات دخلوا مع جيوش الفتوحات الاسلامية الى شمال افريقيا و الاندلس، و انتشروا في مساجدها لتعليم المسلمين الجدد قراءة القرآن و معانيه و الفقه[3].

انجذب الاندلسيون الى المساجد و اهتموا بتعلم القرآن باختلاف حروفه[4] على اولئك الصحابة الذين كان لبعضهم مصاحف خاصة[5]و التابعين الذين انتدبتهم الحكومة الاموية الفاتحة[6] ، ثم أدخل التابعون مصحف عثمان[7] الخالي من النقط و الشكل و المزعوم باحتماله لأوجه القراءات[8] وانشغلوا به، مما أبعدهم عن مدارسة القرآن و الحديث الذي هو أصل العلوم، و صارت هذه الطريقة التي يعلم بها صبيانهم[9].

يقول عمر فروخ:" لقد قرأ أهل الاندلس القرآن على اختلاف قراءاته التي وصلتهم دون أن يلقوا بالاً الى تعليقات أو شروح حتى جاء عهد مجاهد العامري (ت ٤٣٦هـ)[10] مولي عبد الرحمن الناصر، او المنصور بن ابي عامر (ت ٣٩٢هـ) الذي حرص على تعليمه القراءة على ائمة القراء"[11]. و برز علم القراءات و نفقت في عهده سوقها[12]، و شغل المسلمون بهذا العلم حتى صار يكفّر من قرأ سواها، فتدخلت الحكومة علي أثرها و اضطهدت بعض اصحاب القراءات غير السبع[13].

أسلفنا ان اختلاف القراءات يستتليه اختلاف الاحكام ثم الحاجة الى فقهاء[14] و علماء متمكنين، وعليه،اتسعت دراسة الفقه في القرنين الثالث و الرابع مع تطور القراءات و تبلورها في الاندلس و المغرب[15] بتشجيع الخلفاء الامويين

١. اعتمد الشاميون على مصحف عثمان الذي وصل إليهم مع المغيرة بنشهاب المخزومي (ت٩١هـ) واستمروا في قراءته على تلميذه عبدالله بن عامر اليحصبي(ت١١٨هـ) قارئ الجند في عهد عبدالملك بن مروان ورئيس اهل المسجد في عهد الوليدبن عبدالملك، فنشر تلك القراءة العثمانية التي سميت بالقراءة الشامية. ملكة أبيض ، السابق/ ٨٧، ٢٧٢

٢. العلي، السابق/٤٦٦، ٥١٦؛ و انظر: ملكة أبيض ، السابق/ ٨٧

٣. انظر: ابن خلدون، تاريخ... ١١٠/٦: أنزل موسى بن نصير الي المغرب مع جيش طارق و أمرهم أن يعلموا البربر القرآن و الفقه. و انظر: الطرهوني، التفسير والمفسرون في غرب افريقيه:٥٤١/٢-٥٤٢

٤. المقري ، نفح الطيب في ... ٢٠٦/٢

٥. الطرهوني ، السابق:٥٤١/٢ عن: القراءات بأفريقية/٩٧، ١٢١

٦. انظر: تاريخ ابن خلدون: ١١٠/٦ و المالكي ، رياض النفوس ١/ ٧٧،٧٨،٨٠ ؛ابن عذاري ،البيان المغرب ٤٨/١زبيب، الموسوعة: ١١١/٢

٧. انظر: المقري ، نفح الطيب : ١/

٨. الزرقاني، محمدعبدالعظيم، مناهل العرفان، ١٩٩٦،ط-١ : ٢٦٧/١، بيروت، دارالفكر

٩. انظر: تاريخ ابن خلدون: ٥٣٩/١- ٥٤٠ و اعترض ابن العربي على هذه الطريقة و ايصائه بعدم الخلط في التعليم، بل تعليم الصبي اولا الكتابة و الشعر العربي و الاعراف ثم حفظ القرآن واصول سنن الرسول. ويمكن حمل هذا على انه دافع يؤول الى تحقيق هدف سياسي.

١٠. نشأ ابن مجاهد في قرطبة و نزل دانية ، فجمع القراءات على سبع قراء بثلاثة شروط، و فتح الباب لعلماء هذا الفن و شجعهم و أكرم وفادتهم، فبرز أهل الاندلس في هذا الفن و صاروا قبلة العالم الاسلامي في القراءات، و أصبحت دانية قبلة القراء. انظر: المرعشلي، فهارس الجامع لأحكام القرآن : ٣٩/١-٤٠

١١. تاريخ الادب العربي: ١٨٠/٤

١٢. ابن خلدون، المقدمة :١ /٤٣٧

١٣. آدم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع/٣٢٢-٣٢٣ بتصرف

١٤. كان الصحابة إذا عرضت لهم مسألة يحاولون أيجاد حلها من الكتاب او السنة، فأن وجدوا أجابوا وأن لم يجدوا عملوا برأيهم و أحيانا كان منهم من يفتي في المسألة بالرأي مع وجود النص الصريح فيها. اقا بزرك تهراني ، تاريخ حصر الاجتهاد/٢٠ عن: الانصاف في بيان سبب الاختلاف. و م.ن/٢١ عن : النص و الاجتهاد. و انظر: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين: ٢١٢/٣

١٥. عمر فروخ ، السابق: ٤/ ١٨١ بتصرف

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

الذين اختاروا لهم المذهب المالكي، فتخرجت طبقة من الفقهاء، فتحوا لهم أبواب العمل في دوائر الدولة و مساجدها و أسندت إليهم الوظائف الهامة و إمامة المساجد و الخطب فيها؛ وقد عين هشام بن عبد الرحمن يحيى بن يحيى قاضيا و خوله صلاحية تولية القضاء في أقطار الاندلس ، فكان لايتولي القضاء إلاّ بمشورته[١].

إن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض في اختلاف القراءات[٢] أدى الى ظهور مذاهب و تيارات فقهية [٣] متنافسة ، راح فقهاء كل منها يفسر الاحأديث المجموعة لاستنباط الاحكام[٤]، مستندا الى القراءات و ما جمعه أئمتهم من أحأديث بما يعزز مذهبه و يضعف المذاهب، بل تعداه الى الخصومات و إيقاع الفتنة و الضرب حتى الموت، وكان للمتكلمين و الشيعة بالخصوص الحظ الأوفى[٥].

بدأت تلك التفاسير بالظهور تحت عنوان (أحكام القرآن)[٦] في القرن الثالث الهجري، حيث صار فيه للفقه رونق و وجاهة[٧].

تأخر الاندلسيون المالكية عن غيرهم من المذاهب المشرقية في تفسير القرآن[٨]، و خاصة في بيان أحكامه بتأليف (أحكام القرآن) كما تأخروا في علوم الحديث [٩]؛ لتبعيتهم السياسية و العقيدية والفكرية للحكومة الاموية في الشام، في الوقت الذي كان فيه الخاصة من أتباع ال البيت في العراق و الحجاز يتداولون تفاسير أئمتهم الذين أخذوها عن جدهم الذي انزل الله تعالي عليه الذكر الحكيم وفرض عليه تفسيره و تبيينه للناس [١٠] منذ بدء نزوله، وليقوم الناس بدورهم بتعاهده و التدبر فيه وهكذا بدأت نشأة التفسير منذ عهد الرسالة ومن بعده الصحابة و التابعون لهم بإحسان [١١] وقد كان الامام علي بن ابي طالب صدر المفسرين والمؤيد فيهم وأخذ تلميذه عبدالله بن عباس التفسير عنه وكان الامام يحث على الاخذ عنه [١٢] لما رأى من ضغوط الامويين و قسوتهم في محاصرته و من ثم إقصائه عن الساحة السياسية وإبعاد الامة عنه ترغيبا و ترهيبا، فقدم تلاميذه وكذلك فعل الائمة من ولده، فظهرت تفاسير عنهم كتفسير أبي حمزة الثمالي صاحب الامام السجاد والراوي عنه تفسيره [١٣]، و مجاهد وسعيدبن جبير وغيرهم وكلهم اخذوا عن ابن عباس الذي قال: " ماأخذت من تفسير القران فعن علي بن ابي طالب" [١٤].

أما الاندلسيون الذين كانوا في قبضة الامويين فقد شغلوا بالقراءات القرآنية و معاني ألفاظه، بحجة غياب مصحف جامع يرجعون إليه و يحتكمون فيما نشأ بينهم

١. ابن خلدون، السابق:٤٤٩/١

٢. السيوطي، الاتقان: ١٨٢/٢: بتعبيره: عند تجاذب المعنى و الاعراب، و ترجيح احدهما على الآخر.

٣. كان أبرزها الثلاثة للأئمة : مالك بن انس و الشافعي و أبي حنيفة، ثم المذهب الظاهري الذي زال و حل محله الحنبلي. تاريخ ابن خلدون ٤٤٦/١، ٤٤٨؛ و انظر: حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام... ٤٥٠/٤

٤. انظر: محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية/١٥ في تعريفه لأحد معاني الفقه

٥. انظر: آدم متز، السابق/ ٣١٣،٣٥٠،٣٥٢ ؛ المقري، السابق: ٣٩/٢-٤٠ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين/١١٨ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ٢٢٩/٨-٢٣٠؛ شهاب الدين المقدسي، عبد الرحمن بن اسماعيل، تراجم رجال القرنين السادس و السابع/٤٦-٤٧، بيروت ط١٩٧٤/٢، بيروت ، دارالجبل

٦. في المشرق: انظر هامش ص ٢

٧. المقري ، السابق: ٢٢١/١ تحـ: احسان عباس

٨. راجع هامش ص٢

٩. انظر: عمر فروخ ، السابق:١٨١/٤

١٠. قال الله تعالي مخاطبا لنبيه (ص) : " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس " سورة النحل/٤٤

١١. محمد هادي معرفت، مقدمة تفسير ابي حمزة الثمالي /٦

١٢. ابن عطية ، المحرر الوجيز: ١٨/١

١٣. محمد هادي معرفت، السابق/٥

١٤. ابن عطية ، السابق: ١٨/١

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

من خلاف، و تفرق القراء من الصحابة في الامصار و الاقاليم و إقرائهم المسلمين هناك بما يعرفونه من الحروف القرآنية[1].و قد استمروا على تلك الحالة حتى القرن الثالث الهجري، حيث ظهر فيه محمد بن سحنون عبد السلام (ت ٢٥٦هـ)[2] و بقي بن مخلد بن يزيد القرطبي الاندلسي (ت ٢٧٦هـ) بتفسيره الواقع في سبعين جزءا[3]؛ و تبعه ظهور تفاسير لِأئمة الإقراء مستندة الى القراءات، أمثال أبوالعباس احمد بن عمار بن ابي العباس المهدوي التونسي (ت ٤٣١هـ) في تفسيره (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)[4]، و مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧) ، اما الدراسات الكلامية فقد كانت في موضع الجمود والذي كان يشتهيها الكثير حتى جاء الموحدون[5] والفقه لم يزل على المنهج السلفي و الفلسفة والتصوف محاربان من قبل المرابطين والادب لم يلق تشجيعا كذلك الذي في عهد الطوائف، في هذا العصر توجه جماعة من المغرب والاندلس الى العلم و الثقافة[6] ، في حين كان المشرق الاسلامي يسير باتجاه التجدد و التوسع نتيجة المناظرات الدائرة بين ائمة اهل البيت و تلاميذهم و علماء زمانهم وصار يموج بالافكار و التيارات المختلفة[7]، وكانت قد ظهرت تفاسير متنوعة بطابع روائي وفقهي كتفسير الامام الباقرمحمدبن علي برواية ابي الجارود وتفسير سفيان بن عيينة وتفسير الحسن البصري وابي بكر الاصم من المتكلمين و لغوية في معاني القران و نحوية وكلامية ثم في غريب القران وفي القراءات ثم ظهرت كتب في (احكام القرآن) لأهل العراق في حين كان أهل الشام يؤلفون في عدد آي القرآن[8] مما دفع رحيل كثير من الاعلام وذوي العقول الراجحة و الاحلام في المغرب الاندلس الى بلاد المشرق[9].

٣- طبيعة المجتمع الأندلسي

أ- الاجتماعية

رحّب الاندلسيون بجيش الفتح الاسلامي وأسرعوا بالدخول في الدين الاسلامي أملا بإنقاذهم من تعسف وظلم وعبودية الإمبراطورية الرومانية[10]، لكنهم صدموا بالتمييز العنصري الاموي، مما دفعهم الى الالتفاف حول علمائهم و فقهائهم و مطالبتهم في تعيين أمورهم الدينية، فظهرت التفاسير الاجتهأدية.

تخبرنا المصادر التاريخية بأن اسبانيا-الاندلس- كانت مسيحية تابعة للامبراطورية الرومانية، لكنها عادت للوثنية[11] لإهمالها من قبل القوط، وكانت تعاني من الارهاب و الظلم و العبودية، مما يسر دخول جيش الفتح

١. انظر: مصطفي المشيني ، درسة التفسير في الاندلس /٢٤٦

٢. انظر: الداوودي، طبقات المفسرين/

٣. انظر: المشيني، السابق/٢٤٦ عن: الحميدي، جذوة المقتبس /٣٥١ ؛ الضبي، بغية الملتمس/ ٤٦٩؛ ابن بشكوال، ٤٣١/٢؛ و انظر: الزركلي، الاعلام: ٦٠/٢ ؛ الداوودي ، السابق: ١/ ١١٦

٤. انظر: الطرهوني ، السابق: ٢/

٥. عبد العزيز سالم، المغرب الكبير: ٧٤٤/٢

٦. عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي: ٥٤٤/٤ و ٥٤٩

٧. انظر : نجيب زبيب ، الموسوعة: ٣٣/٢ بتصرف

٨. انظر التفاصيل في: محمدبن اسحاق النديم ، الفهرست ، تحقيق: رضا تجدد بي تا

٩. انظر: المقري ، نفح الطيب :٢/صص ٥-٢١٠

١٠. انظر: سالم عبدالعزيز، تاريخ المسلمين../١٢٨ عن: حسين مونس ، فجر الاندلس /٤٣٠

١١. ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٥٥٨/٤

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

الاموي[1]، واستقبلهم أهلها ودخلوا الاسلام بسرعة خارقة لإقامته على المساواة والاخوة الايمانية والتفضيل والتكريم على أساس التقوي المبيّن في النصّ الكريم: "انما المؤمنون اخوة.."[2] و "...إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[3] [4]؛ ولكنهم صدموا بسياسة التمييز العنصري و الطائفي للأمويين الفاتحين لبلادهم[5] بتقسيم المجتمع الاسلامي الى طبقات متفاوتة في الحقوق والاعتبار[6].

استوطن الاندلس عدد من القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية ودخلت مع جيوش الفتح، حتى صار الاندلس متحفا للقبائل العربية المهاجرة[7].

قال المقري في اصول القبائل المستوطنة في الاندلس :" فنزل بها من جراثيم العرب و ساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم الى أن كان من أمرهم ماكان. فأما العدنانيون فمنهم خندف ومنهم قريش. وأما بنو هاشم من قريش فمنهم جماعة كلهم من ولد إدريس بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب[8]، ومنهم بنو حمود و ملوك الاندلس بعد انتشار ملك بني أمية[9].

وقال ابن سعد: أما بنو أمية فمنهم خلفاء الاندلس، وكانوا يعرفون بالقرشيين، إنما عمّوا نسبتهم الى أمية في الاخر لمّا انحرف الناس عنهم، وذكروا أفعالهم في الحسين (رض)[10].

لقد وزّعت هذه القبائل على المناطق وفق إرادة الحكومة الاموية،فاستقر عدد كبير من مواليهم وجنودهم الاوفياء، اضافة الى القوات العربية التي شاركت في فتح الاندلس من عرب الشام التي تعتمد عليهم الحكومة،استقروا في مدن وحواضر الاندلس خاصة قرطبة عاصمة الامويين[11]، لمعادلة مخالفي الدولة من قبائل البرانس الذين قاوموا العرب الفاتحين[12]. أما البربر فكان اكثرهم في الثغور مستقلين و منعزلين عن مساكن القبائل العربية[13]؛مما آل الامر الى انقسام المجتمع في الاندلس،كما في جميع انحاء الدولة الاموية الى طبقات اجتماعية، كانت الطبقة العليا هي طبقة العرب المسلمين وعلى رأسهم أسرة الخليفة والعرب الفاتحون،ويلي هذه الطبقة الموالي، أي المسلمون غير العرب الذين اعتنقوا الاسلام طوعا،لكن الارستقراطية – الاموية– العربية حالت دون تمتعهم بالحقوق الاسلامية،

١. انظر المصادر التالية: الكامل في التاريخ، ابن الاثير ٥٨٨/٤؛ البداية والنهاية ، ابن كثير: ٧٩،٨٠/١٠؛ دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي ١/ ٦٥٧ ؛ موسوعة بلاد المغرب و الاندلس ، نجيب زيبب ٦٧/٢ ؛ الذنون ، افاق غرناطة/١٨-٢٣؛ سالم عبدالعزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس/٦٤-٦٦

٢. سورة الحجرات /١٠

٣. سورة الحجرات /١٣

٤. انظر: نجيب زيبب ، الموسوعة ٢/ ٥٧ بتصرف

٥. انظر : ابن خلدون، تاريخ..:١٨٨/٤ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب: ٥٢/١ احمد مختار العبادي، في التاريخ.../١٤؛ زيبب ، الموسوعة : ١٠٩،١١١/٢؛ عبد العزيز سالم، تاريخ.. /١٧٣،١٥٦،١٥٣،١٤٩؛ سالم، المغرب الكبير: ٢٩٥،٣٠٣/٢ ؛ سيد قطب ، العدالة الاجتماعية / ١٦٧ بتصرف.

٦. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام... ٦٢٩/٤؛وانظر: الطبري، تاريخ الأمم و الملوك: ١٠٣/٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ١٨٢/٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب.. :٤٨/١؛ ابن عبد الحكم، طبعة عبدالمنعم عامر/ ص ٢٨٩ ؛ السلاوي، الاستقصا..: ١٠٣/١

٧. زيبب ، الموسوعة ٢/ ٢٤٥

٨. نفح الطيب ٢٩٠/١؛ وانظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب/٥١-٥٢

٩. انظر: ابن حزم، جمهرة الانساب ٥٠-٥١: في انساب الحموديين

١٠. الطبقات الكبري : ٢٢٥/٥-٢٢٦ و ٢٣٧

١١. انظر: المقري، نفح الطيب..: ٢٧٤/١؛ عبدالعزيز سالم،تاريخ المسلمين.../١٢٠-١٢٢؛ جعفريان، مقالات تاريخي ٢٢٤/٣ عن محمود مكي، التشيع في الاندلس بتصرف.

١٢. انظر: سالم عبد العزيز، المغرب الكبير ١٤٠/٢؛ سالم ، تاريخ.... /١٦١

١٣. انظر: احسان عباس، عصر سيادة قرطبة/١٥؛ ابن حزم، جمهرة الانساب ٤٦٢ ومابعدها؛ المقري، نفح الطيب ١٣٨/١ ؛ سالم، تاريخ../١٦٨

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

وقد شعروا بالغبن اللاحق بهم في حرمانهم الحصول على العلوم و الفنون بأنواعها بمخالفة الطبقة الأولى، أي الحكام، لتعاليم الاسلام في عدم التفضيل الا بالتقوى[1].

أدى هذا التقسيم الاجتماعي الناتج عن الخلل في سياسة الامويين العنصرية الى إضعاف البلد الاسلامي وتعرضه الى مهب رياح التقسيم و التفكك ، وشجع الغزاة و الطامعين للهجوم عليه[2]، مما حفّز و دفع البربر سكان البلاد الاصليين على الالتفاف حول علمائهم و فقهائهم[3] لاستعادة بلادهم بهيبته الدينية وكانت حكومة المرابطين المالكية السلفية ثم الموحدين الدينية، التي كثر فيها الفقهاء و برزت أكمل وأشهر تفاسير (أحكام القرآن) فيها.

ب– العقيدية:

لم يكن البربر، الذين كانوا يشكلون أغلبية جيش الفتح دخلوا بلاد الاندلس، يتمتعون بطبيعة و ظروف اجتماعية و عقائدية مشتركة، مما تركوا آثارا مختلفة على أهالى الاندلس الذين دخلوا اليهم.

لقد قسّم المؤرخون البربرَ، السكان الاصلي لشمال افريقيا، حسب مناطق سكناهم و انتشارهم ، الى مجموعتين:

١– البرانس: وهم البربر الحضر، المتكونة من عدة قبائل أشهرها: صنهاجة وكتامة و اوربة و مصمودة و لمطة.يسكنون في السهول الخصبة والمدن والهضاب المزروعة من جبال الاطلس الكبير ويتصلون بالحضارة القرطاجنية و اللاتينية ويتواجد منهم في وسط الجزائر وجنوبها[4]. قال بعض النسابة: انهم من عرب اليمن[5]. وقال الكلبي: إن كتامة و صنهاجة ليستا من قبائل البربر، وإنما هما من شعوب اليمانية[6].

لقد أسلم البرانس أول الفتح، ثم ارتدوا عند ولاية ابي المهاجر[7]، مما يثير التساؤل عن السبب؛ الذي سيأتي بيانه و تعليله لاحقا.

٢– البتر: البربر البدو.يتكونون من عدة قبائل،يسكن أغلبهم القرى الصحراوية والمناطق الرعوية، او يترلون في السهول المرتفعة او المنخفضة وعلى الهضاب التي تمتد من طرابلس الى تازة،كما ينتشرون في أقالىم النخيل الممتدة من غدامس الى السوس الاقصى. وتوجد بطون منهم قرب طرابلس وفي داخل سهول افريقية أشهرها وأكبرها زناتة التي كانت تنزل في المغرب الاوسط وعلى سفوح اوراس[8].

يجب أن يؤخذ هذا التقسيم على التغليب، لا على الاطلاق[9] ، بل يجب اعتبار كل من قسمي البربر ضمن البدو و المتحضرين[10].

١. انظر: زيبب ، الموسوعة ١٠٣/٢ ؛ سالم، تاريخ.../١٢٣–١٢٤

٢.انظر: وجدي ، دائرة معارف ... ٦٥٨/١–٦٦٠

٣. انظر: سالم ، تاريخ.../ ١٧٣

٤. انظر: تاريخ ابن خلدون ٨٩/٦ ؛ احسان عباس ، سيادة قرطبة/١٥ ؛ سالم، المغرب ١٣٥/٢–١٤٠ ؛ زيبب ، دولة التشيع/٩٣ عن: ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ/٣٢

٥. تاريخ ابن خلدون ١٣٩/٦

٦. المصدر نفسه : ٩٠/٦

٧. م.ن ١٠٨/٦

٨. انظر: تاريخ ابن خلدون : ٢/٧؛ زيبب ، دولة التشيع/٩٢ ؛ سالم ، المغرب ١٣٨/٢–١٣٩

٩. انظر: زيبب ، دولة التشيع / ٩٢ عن : سعد زغلول، محاضرات في التاريخ العباسي و الاندلسي/٤٩

١٠. انظر: سالم ، المغرب ١٣٦/٢. يرى ابن خلدون: ان زناتة كان من بين اجيالها من العز و الظهور، وغلبة في الارض، ولهم عمران و حضارة ومنهم قوم بالصحراء ، تاريخ ابن خلدون ٢/٧

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

يحتمل أن يبغي بعض المؤرخين – من هذا التقسيم- القول:إن سبب محالفة زناتة البترية للعرب الفاتحين ومنذ السنين الأولى للفتح ومحالفتها للامويين في الاندلس يعود الى تشابههم في البداوة وإن مقاومة البرانس للعرب الفاتحين كونهم متحضرين بالحضارة اللاتينية ومستقرين في المدن[1]؛ إلا انه، ومن النظر الى تلك الحالة من الزاوية العقيدية اضافة الى الناحية الاجتماعية، يبدو أن أموراً مهمة اخرى كانت سببا لهذه الميول، منها:

١- إن البربر البرانس، لطبيعة ظروفهم الزمكانية و رجوع اصلهم الى اليمانية[2]، قد تأثروا بالمسيحية القائلة بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح (المونوفوستية) وهذه العقيدة ترى أن السيد المسيح(ع) لكونه قائدا روحيا، له طبيعة لاهوتية مضافا الى طبيعته الناسوتية، لهذا انجذبوا نحو الاسلام و دخلوا فيه بسرعة، لما عرفوا في نبيه الصفات الروحية[3] "charismatic" مضافا الى سلطاته السياسية[4]، مما يحتم عليهم التوجه الى الفقه و معرفة أحكام دينهم و شريعتهم ليواجهوا بها غير المسلمين من جيرانهم قولا و عملاً.

٢- يتضح إن هؤلاء البرانس قد دخلوا الاسلام لما رأوا فيه من قيم انسانية، ولكنهم انصدموا بالتمييز العنصري للامويين المروانيين و الحيف عليهم وانشغالهم بالغنائم وسبي نسائهم، ولّما لم يُجدِ نصحهم للولاة و الحكام، اجتمعوا برئاسة صنهاجة التي طلبت منهم لبس الزي البربري الصنهاجي في دوائر الدولة ومعارضة الحكم الاموي والقيام عليهم و طردهم من البلد ومناصرة الادارسة ومن بعدهم الفاطميين حبّا و تقربا للرسول الاعظم(ص) وأهل بيته[5]، ومن ثم اقامة دولة المرابطين وبعدها الموحدين الدينية وجمع شمل شعبهم و لّم شتات بلدهم الممزق[6].

نجد في قول الاستاذ سالم تأييدا لما ذكر، حيث يقول:"ويستمر تحالف البربر للعرب بعد قيام الدولة الاموية، بينما توالى صنهاجة البرانسة العلويين وهم الحزب المعارض للامويين، فتؤيد ادريس بن عبدالله بن الحسن، و تخدم كتامة البرانسة مصالح الفاطميين ضد الامويين، و تظهر بعد رحيلهم – الفاطميين- على المغرب كله بتأسيس دولة المرابطين ثم دولة الموحدين"[7].

إن تلك الاحداث و الظروف قد دفعت أهل البلد الى التحري و التدقيق في مبادئ الاسلام التي تدعو الى وحدة الامة الاسلامية و نبذ العنصرية و الخلاف، مما حتم عليهم التوجه الى الفقه و معرفة أحكام الدين و الشريعة ليواجهوا به السلطة الداخلية والخارجية –يعني الامويين و الرومان-.

٤- رد الاعتبار الى المذهب السني

أدت السياسة المشجعة للإنشغال باختلاف القراءات القرآنية ، التي يترجح بها بعض الوجوه المحتملة على بعض[8]، أدت الى ظهور مذاهب و تيارات متنافسة في ترجيح

١. انظر: سالم ، المغرب ١٤٠/٢

٢. تاريخ ابن خلدون : ٩٠/٦

٣. يقول عبدالله فياض : «يعتقد الامامية بصورة قاطعة ان [النبي] وأئمتهم بشر ولكن معصومون عن الخطأ والخطيئة والنسيان، وهنا نختلف معهم في هذه العقيدة». انظر: الامامية وأسلافهم من الشيعة / ٦٢

٤. انظر: عبدالله فياض ، تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة/٦٢ بتصرف.

٥. انظر: سالم ، تاريخ.. /١٧٣

٦. انظر: العبادي، في التاريخ العباسي .../٢٤٣-٢٤٤ ؛ زيبب، دولة التشيع/٩٣ ؛ تاريخ ابن خلدون:١٠٨/٦، ١١٨-١١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب ، ٤٦/١و ٥٣ ؛ سالم ، المغرب ٢٩٣/٢-٢٩٤و٢٩٩ ؛ الطبري، تاريخ الملوك و.. ١٠٣/٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ١٨٢/٤ .

٧. سالم ، المغرب الكبير: ١٤٠/٢

٨. السيوطي ، الاتقان ..٢٣٢/٢

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

مذهبها على غيره من المذاهب[1]، وراح فقهاؤهم و علماؤهم يجمعون السنة النبوية الشريفة المضيّعة بمنع التدوين و يدونونها في مجموعات حديثية[2]، فظهرت الصحاح والمسانيد، وانقسم المسلمون الى مجموعات التفّت حول فقهاء تلك المذاهب في تفسيرهم للأحاديث المجموعة لاستنباط الأحكام[3]، مما أدى بدءً الى بروز المذاهب الثلاثة للأئمة مالك بن انس و إدريس الشافعي وابوحنيفة النعمان، ثم جاء المذهب الظاهري[4]،ثم زال الاخير وحلّ محله الحنبلي[5].

كان التشريع الاسلامي في عصر هؤلاء الأئمة الاربعة مبتنيا على الاجتهاد المطلق و الحكم بالرأي في فهم القرآن و الحديث[6].

تميزت هذه الفترة من اوائل القرن الثاني الى منتصف القرن الرابع، باتساع الحضارة و نمو الحركة العلمية في الامصار الاسلامية وازدياد حفاظ القرآن و العناية بأدائه – على اختلاف قراءاته– و تدوين السنة واصول الفقه و ظهور المصطلحات الفقهية و ظهور المذاهب الاربعة وغيرها من المذاهب المنقرضة والنزاع في مادة الفقه: السنة والاجماع و القياس و غيرها وانشقاق المدرسة السنية الى مدرستي الرأي والحديث، و اتساع الهوة والشقة بينهما في نهاية هذه الفترة[7].

اتخذت مدرسة الرأي الكوفة مركزا لها لبعدها عن المدينة: مركز الحديث و السنّة و كان ابوحنيفة أعظم روادها. تميزت بالتشدد في قبول السنة ورفض كثير منها، و الاعتماد على القياس والاستحسان،وصار لها صدى كبيرا في العالم الاسلامي،وكان أبرز من وقف بوجهها وزيّفها أئمة أهل البيت(ع)، اذ أنهم كانوا يرفضون العلم بالرأي والقياس[8].

اما مدرسة الحديث فمن مظاهرها الاعتماد على القرآن و السنّة فقط و رفض القياس و الاستحسان و كان مالك من المسارعين و الدعاة الى هذه المدرسة، لكنه عمل بالرأي ايضا، ثم تم تشييدها بيد داود بن علي الظاهري[9].أما باقي الائمة الاربعة، أي الشافعي و ابن حنبل فكانوا جداً وسطا بين هاتين المدرستين[10].

كان الفوز لمدرسة الرأي بعد الصراع العنيف بين المدرستين، وكان الاجتهاد في فترة الائمة الاربعة يعتمد على الكتاب و السنة والقياس والاستحسان والاجماع. وظهرت في هذا الدور أيضا مذاهب اخرى انقرضت و لم يبق الا اسمها كمذهب: سفيان الثوري، و الحسن البصري، والاوزاع وابن حرير الطبري وغيرهم[11].

١. كان الصحابة اذا عرضت لهم مسألة يحاولون ايجاد حلها من الكتاب او السنة، فإن وجدوا أجابوا وإن لم يجدوا عملوا برأيهم. اقابزرك طهراني، تاريخ حصر الاجتهاد/٢٠ عن: الانصاف في بيان سبب الاختلاف. وانظر: وجدي، دائرة المعارف.. ٢١٢/٣. وكان من الصحابة من يفتي في المسألة بالرأي مع وجود النص الصريح فيها. اقا بزرك طهراني، تاريخ حصر الاجتهاد/٢١ عن النص و الاجتهاد

٢. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: ٣٣/١ بتصرف

٣. تعريف محمدباقرالصدر لأحد معاني الفقه. انظر: المدرسة القرآنية/١٥

٤. تاريخ ابن خلدون: ٤٤٦/١

٥. م.ن :٤٤٨/١ بتصرف ؛ و انظر: حسن ابراهيم حسن ، تاريخ.... ٤٥٠/٤

٦. انظر: ادم متز، الحضارة... / ٣٤٦

٧. اقا بزرك طهراني ، تاريخ حصر الاجتهاد / ٢١-٢٣

٨. م.ن نفس الصفحات

٩. م.ن /٢٣؛ وانظر: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١٣٧/٤

١٠. م.ن / ٢٤ عن : تاريخ التشريع الاسلامي/١٤٨

١١. م. ن /٢٤

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

حصر الاجتهاد و الدعوة الى التقليد المؤدي الى صراع المذاهب

انحصر الاجتهاد في هؤلاء الائمة الاربعة وصار التقليد اليهم[1] باعتبار أنهم ومن سبقهم من علماء الصحابة والتابعين كالمعصومين[2]، و لم يصل أحد من تلاميذهم الى رتبة الاجتهاد، فخشي على الدين، و سدّ باب الخلاف و طرقه وباب الاجتهاد، وصرّحوا بالعجز والإعواز، حتى اصبح الفقيه في القرن الرابع يقتصر حكمه على المسائل الصغيرة و ردّوا الناس الى تقليد الائمة الاربعة، وصار أهل السنة موزعون على مناطق وجود ائمتهم و أقلّهم جماعة احمد بن حنبل لبعد مذهبه عن الاجتهاد[3].

لايمكن تحديد هذه الفترة، لأن محاولات تحديد دائرة الاجتهاد كانت في فترات كثيرة، مابين القرن الرابع والسابع الهجريين، كما عن خطط المقريزي: في سنة ٦٦٥ على يد "بيبرس البندقداري حيث ولّى مصر اربعة قضاء: شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر ذلك حتى لم يبق في مجموع امصار المسلمين مذهب يعرف من مذاهب سوى هذه الاربعة ، و عودي من تمذهب بغيرها[4]".

وفيما بين القرنين الخامس والسادس لم يدع أحد الاجتهاد بمعناه الكامل، وانما وجد فقهاء ذووا اقتدار على الاستنباط في حدود مذاهبهم. ومن اواخر القرن السابع لم يوجد غير فقهاء ذوي فتاوى وترجيحات وبذلك ضاقت مجالات الاجتهاد حتى ظن البعض أن باب الاجتهاد قد أغلق،وتوقف الفقهاء في هذا الدورعن كل حركة علمية وأعرضوا عن الكتاب و السنة، وراحوا يجترّون بعض الكتب الفقهية القديمة تذييلا وشرحا وتعليقا و حشواً، و أغرموا بجدل لايجدى و خلافات سطحية حول هذه الجملة أو تلك ، وأفرغوا جهدهم في مماحكات لفظية وأفنوا كثيرا من وقتهم في خصومات صاخبة لم تعُد على الاسلام والمسلمين بأية فائدة[5].

بعد موت الائمة الاربعة راحت جماعات المقلّدين كل منها تعلي في شأن إمامها ، و تطعن غيرها في محاولة لزحزحتها، بتكفيرها واتهامها بالتجسيم والضلالة والبدعة ، حتى آل الامر الى النفي والاقتتال وإباحة الدماء ، واستمر على هذا الحال حتى القرنين السادس و السابع[6].

وكان الحنابلة والمالكية الحديثيين اكثر عداءً لغيرهم من فرق المسلمين، وادخروا أشد غضبهم للشيعة ولمن خاصمهم من المتكلمين[7]. فكان الحنابلة ينقمون على المعتزلة، وإن كانوا من أئمتهم، حول رؤية الله تعالى أو عدمها يوم القيامة، إذ كانوا يقولون برؤيته و ينكره المعتزلة[8]. وخالفوا الاشعرية وكان بينهم خصومات كثيرة. ونافس فقهاء الشافعية الحنفية على القضاء في العراق و تغلبوا عليهم في تولية قضاة بغداد عام ٣٣٨هـ، رغم كثرة اتباع أبي حنيفة في هذا الاقليم[9].

---

١. تاريخ ابن خلدون : ٤٤٨/١

٢. انظر: تاريخ ابن خلدون: ٤٤٨/١ بتصرف

٣. انظر: تاريخ ابن خلدون : ٤٤٨/١

٤. اقا بزرك طهراني، تاريخ حصر الاجتهاد/٢٥ عن : خطط المقريزي ٤٤٣/٢، وانظر: حسن ابراهيم حسن، في التاريخ ٤٥٠/٤

٥. م.ن /٢٥-٢٦ عن الاجتهاد و التجديد.../٢٥٨-٢٥٩ بتصرف

٦. انظر: شهاب الدين ابومحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامه المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس و السابع/٤٦ ،دارالجبل- بيروت ط-٢، ١٩٧٤. وانظر: بروكلمان ، تاريخ الادب العربي٣/٤٥-٤٦، دائرة المعارف بمصر ١١١٩: انظر فيما فعل بالطبري المفسر (ت٣١٠) من قبل الحنابلة، وكذلك انظر: ابن الجوزي، المنتظم من تاريخ الملوك والامم ٢١٤/٣.

٧. ادم متز، الحضارة.../٣٢٥؛ و انظر: الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ٢٢٩/٨-٢٣٠

٨. انظر: المقري، نفح الطيب ٣٩/٢-٤٠

٩. ادم متز، الحضارة.../٣٥٠

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

واستولى المالكية على مصر منذ منتصف القرن الثاني الهجري، وراح فقهاؤهم ينافسون الشافعية و الحنفية في امتلاك عدد اكبر من حلقات المسجد الجامع[1]. وكان ابوالفضل من اهل البصرة من كبار فقهاء المالكية وعدّ من شيوخهم وقد ولي القضاء ببعض نواحي العراق،لكنه خرج منه اضطرارا ونزل مصر قبل الـ٣٣٠هـ، وادرك فيها رئاسة عظيمة وحدّث عنه من لايعد كثرة من المصريين والاندلسيين والقرويين[2].

و تعرض ابو حنيفة لجرح الحنابلة في العراق الذي يكثر فيه اتباعه، فثار عليهم الحنفية واتهموهم بالتجسيم و الضلالة والبدعة[3].

أدت تلك الخلافات الى أن ينبري فقهاء ومفسرو كل مذهب لتاليف تفسير يرتكز على بيان احكام ايات القرآن لدعم و تثبيت مذهبه بعنوان (احكام القرآن) ، في مشرق العالم الاسلامي و مغربه؛ فظهر التنافس و الخلاف ، لكن ذكاء و اهتمام بعض علمائهم جعلهم ينتبهون الى هذه الكارثة التي أدت هذه المؤلفات اليها ، فانبرى القرطبي مشمرا عن ساعديه في جمع هذه المذاهب الاربعة مجتهدا في تاليف (جامع لأحكام القرآن..) جامعا المذاهب، ولكن ، وللأسف، على غيرها من المذاهب الاسلامية التي يمتد وجودها الى عصر النبي (ص)، و أقصد المذهب الشيعي الأمامي الاثنى عشري التابع للأمام علي (ع) وصي النبي الاكرم (ص) و ذريته ؛ و كان ذلك هو القرطبي المفسر!

٥- ظهور حكومات دينية: خريجي مدرسة القراءات والفقه

اختار الخلفاء الامويون للاندلسيين المذهب المالكي وشجعوا الناس على التفقه به، فتخرجت طبقة من الفقهاء[4]، وفتحوا لهم أبواب العمل في دوائر الدولة و مساجدها، وأسندت اليهم الوظائف الهامة للقضاء و إمامة المساجد و القاء الخطب فيها. وقد عيّن هشام بن عبدالرحمن يحيي بن يحيي قاضيا وخوّله صلاحية تولية القضاء في اقطار الاندلس فكان لايتولي احد القضاء إلاّ بمشورته[5]، فاشتد نفوذهم بالاندلس منذ أيام الدولة الاموية[6].

دام الحكم المرواني في الاندلس، منذ تولي عبدالرحمن الداخل قرطبة، ثلاث وثمانين ومئتين عام من ١٣٨الى ٤٢٢هـ صارت الاندلس ارضا تابعة للأمويين يصول فيها حكامهم الذين تعاقبوا في اعتلاء العرش الاموي،و لم يخل حكمهم من بناء وعمران، والى جانبه شهدت البلاد حربا باردة بين الامويين والعباسيين واثارة الفتن بين قبائل البربر لتحريكهم ضد الفاطميين؛ ومن جهة اخرى أغدقوا الاموال على علماء مذهب لمحاربة مذهب آخر ليخلوا لهم الجو وينشغلوا بأمتعة الدنيا والجواري والمغنيات[7] حتى زادت الاضطرابات واشتدت الفتن في نهاية القرن الرابع وثار عليهم

١. انظر: ابي سعيد المراكشي، المغرب ... /٢٤ ؛ وانظر: السيوطي ، حسن المحاضرة ٢١٢/١

٢. الداوودي ، طبقات المفسرين / ٨٥

٣. المقدسي ، السابق /٤٦-٤٧

٤. انظر: مقدمة ابن خلدون/٤٩٢؛ المقري، نفح الطيب :١٥٨/٢؛ احمد امين، ظهر الاسلام٢٩/٣؛ خطط المقريزي ١٤١/٤

٥. ابن خلدون، المقدمة/٤٤٩ ؛ وانظر: المقري، نفح الطيب ٢١٨/٢

٦. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ ... ٦٣١/٤

٧. العبادي، في التاريخ.../٢٤٣-٢٤٤

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

البربر لأنهم لم يحسنوا معاملتهم[1]، فاختفى وزال ملكهم وقام ملك الطوائف مقامهم تعاقب فيه ١٦ خليفة منهم[2].

دولة المرابطين:

تعرضت دويلات الطوائف في الاندلس الى هجوم النصاري، مما دفع الاحساس الديني والوطني للبربر أن يهبوا بقيادة المرابطين لإنقاذ وطنهم بهيبته الدينية.و ترأس أبو عبدالله بن ياسين مؤسس هذه الحركة، التي كان جلّ اعضائها من الفقهاء المالكيين[3] *، حرب النصارى بقيادة يوسف بن تاشفين الذي قام بتعبئة مسلمي الاندلس ومن سائر البلاد بفتوى الفقهاء واملائهم الكتاب الذي وجهه الى ملكهم في الاندلس[4]، وأثاروا الحمية الدينية في سكان المغرب وقبائلهم التي تأبى أن يحكمها أجنبي[5]. وتمكن المرابطون من توحيد المغرب للمرة الثانية، بعد توحيده في دولة الادارسة، و وفق المذهب المالكي[6].

لم يشهد الادب و العلوم العقلية تناميا و توسعا في دولة المرابطين للحد الذي كان عليه في عهد ملوك الطوائف[7]، بسبب سلطة الفقهاء، مما جعل المجتمع متقوقعا يكرر ماوصل اليه من دمشق و بغداد و البصرة ومكة و المدينة[8].

إن طريقة التعليم[9] و المذهب المالكي اللذان فرضا على الاندلسيين أديا الى أن يكون التفسير عندهم ساذجا مستندا الى القراءات و ظاهر الايات و خلواً عن مباحث علم الكلام مما أخرّهم عن زملائهم في المشرق فيما يتعلق بمباحثه، وظلوا يلتزمون بالنص الحرفي للآيات القرآنية التي فيها ذكر لصفات الله، مما يفضي الى تجسيم للذات الإلهية والى إثبات صفات جسمانية له تعالى[10].

أما الفقه، فلم يلتفت فقهاء المرابطين لمستجدات الامور وحاجة المجتمع الى أحكام جديدة، لاعتمادهم على الفروع في كتب المذهب التي نفقت في زمانهم، والعمل بمقتضاها[11] و نبذ ماسواها، حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسوله(ص) و لم يولوا أهمية لدراستهما، و لم يرجعوا الى الاصول لاستنباط الاحكام منها، مما أدى الى اضعاف روح الكشف و التجدد و سيق القوم وراء التقليد[12].

لم تكن للمرابطين فلسفة خاصة مستمدة من واقعهم ومن مفكرين يعيشون ذلك الواقع، لاتباع فقهائهم عقيدة الاشعري من اصحاب الحديث المتشددين[13]، فكانوا يرفضون علم الكلام و المنطق[14]، بل يكفرون كل من ظهر منه الخوض

١. زبيب ، دولة التشيع/٩٣ ؛ وانظر التفاصيل في:

٢. وجدي ، دائرة... ٦٥٨/١

٣. حسن ابراهيم ، السابق :٤٥٦/٤

* تلقي فقهاء الملكيين العلوم واصول الدين الاسلامي في بلادالاندلس وخاصة قرطبة ورجعوا الي المغرب واسسوا مدارس فقهية في القيروان أوفدوا اليها رؤساء القبائل للتفقه فيها؛ فصارت لهم اليد الطولي وقرارات الفصل في دولة المرابطين. انظر: سالم، المغرب الكبير: ٦٩١/٢

٤. حسن ابراهيم ، السابق : ١٢٠/٤-١٢١

٥. وجدي، دائرة.. ٦٧٢/١

٦. انظر: زبيب ، الموسوعة ٢٩١/٢ ،٢٣٧، ٢٨٨، ٢٨٧؛ و انظر: وجدي ، دائرة .. ٦٥٩/١

٧. عمر فروخ، تاريخ الادب العربي: ٥٤٤/٤ بتصرف

٨. انظر: زبيب ، الموسوعة: ٣٠٣/٢

٩. انظر: تاريخ ابن خلدون : ١/ صص٥٣٩- ٥٤٠

١٠. سالم، المغرب.. ٧٤٤/٢ عن : ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب و.../٢٥٠ ؛ و انظر: حسن ابراهيم..، تاريخ... ٤٦٧/٤

١١. انظر: سالم، المغرب ٢/ ٧٤٣- ٧٤٤ عن : ليفي بروفنسال ، المصدر نفسه / ٢٥٠

١٢. سالم ، السابق: ٧٣٨/٢و ٧٣٤ بتصرف

١٣. زبيب، الموسوعة:٣٠٣/٢- ٣٠٤

١٤. م.ن :٢٩٧/٢

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

فيهما، وقرر فقهاؤهم تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له ، واعتبروه بدعة في الدين وسببا في اختلاف العقائد[1]. أما الفلاسفة فقد كانوا عرضة للاضطهاد والقتل[2].

حصر المجتمع بين جدران التقوقع و التقليد و خنق الانفاس التائقة الى مدارسة العلوم النقلية و العقلية و التفسير الظاهري المفضي الى التجسيم، أدى الى ظهور حركة دينية لإخراج المجتمع الى افق منفتح قائم على التوحيد الخالص، باسقاط دولة المرابطين و إقامة دولة الموحدين مكانها.

دولة الموحدين:

ظهر الفقيه محمد بن تومرت المصمودي من بين الفقهاء و الدعاة المالكيين الذين كان المجتمع المغربي يموج بهم[3]وتحدى المرابطين بدعوته التوحيدية بعد أن رماهم بالشرك والتجسيم، حتى أسقط دولتهم وأقام الدولة الموحدية على مذهب كلامي دعا اليه[4]؛مستمرا في ميوله الدينية السلفية المحافظة، مع رعاية الفلسفة وتكريم اصحابها[5].

رحل ابن تومرت الى الاندلس لطلب العلم و الى المشرق الاسلامي مصدر العلوم للدراسة والتحصيل[6] و المذاهب المتجددة[7] ثم عاد الى المغرب حاملا اليه التوحيد الكلامي القائم على التأويل وفق العقيدة الاشعرية[8]، مع كسب تأييد العلماء الذين التقاهم في رحلته، ليكونوا عونا له ولدعوته في المستقبل[9].

عقيدة الموحدين: انتقى ابن تومرت عقيدته من المذاهب الاسلامية التي سبقته[10] ومن الذين تلقى عليهم العلوم خلال رحلاته الى الاندلس[11] و المشرق[12]و دونها في كتاب (أعزمايطلب)[13]، و شرحها باللغة البربرية لسكان بلده[14].

ففي التوحيد فقد اختار عقيدته التوحيدية من بين الاشعرية و المعتزلة[15] ودعا الى التوحيد المحض[16] بنفي التقييد بالقبلية و البعدية و الكيفية والأينية[17] وذهب الى أن صفات الله من ذاته[18] ووضع مبدأ بأن العبادات لاقيمة لها

---

١. انظر: سالم، المغرب ٢/٧٣٧- ٧٣٨؛ وانظر: حسن ابراهيم، تاريخ... ٤/٤٣٣

٢. حسن ابراهيم ، تايخ.. ٤/٥٣٧، وانظر: المقري، نفح الطيب: و : الذنون، آفاق غرناطة / ١١٥ و : زيبب ، الموسوعة: ٢/٣٧١- ٣٧٢

٣. زيبب ، الموسوعة ٢/٣١٩ و ٣٢٧

٤. حسن ابراهيم، تاريخ.. ٤/٤٣٣ و ٤٦٧؛ و انظر: تاريخ ابن خلدون ١/٢٩٩

٥. زيبب ، الموسوعة: ٢/٣٤٨ ، و انظر: حسن ابراهيم ، تاريخ ... : ٤/٥٤٠

٦. سالم ، المغرب ٢/٧٧٧

٧. زيبب ، الموسوعة : ٢/٣٢٥

٨. انظر: حسن ابراهيم .. تاريخ.. ٤/٢٩٤، ٤٦٧. ينكر ابن خلدون عقيدته الاشعرية البحتة، اذ يتعبرونه متأثرا بها.

٩. زيبب ، الموسوعة: ٢/٣٢١

١٠. حسن ابراهيم ، تاريخ... ٤/٤٦٧ بتصرف ؛ و انظر: زيبب ، الموسوعة ٢/٣٢٢

١١. التقي ابن حزم في مسجد قرطبة الكبير واخذ عنه الشئ الكثير من مذهبه الحزمي.انظر: سالم، المغرب ٢/٧٧٠- ٧٧١ و زيبب ، الموسوعة ٢/٣٠ و حسن ابراهيم ، تاريخ: ٤/٤٦٧

١٢.أخذ شيئا من اصول الدين من ابي بكر الشاشي وسمع الحديث على المبارك وغيره الذين التقاهم في بغداد التي كانت حينذاك من اعظم حواضر العالم الاسلامي في العلم و الادب والحضارة.انظر: حسن ابراهيم ٤/٦٩٤. و أخذ الكثير عن الغزالي انظر: زيبب، الموسوعة٢/٣٢١ و سالم، المغرب ٢/٧٧١ و حسن ابراهيم، تاريخ : ٤/٢٩٤

١٣. انظر: زيبب ، الموسوعة: ٢/٣٢٠، ٣٢٧؛ حسن ابراهيم ، تاريخ.. : ٤/٤٦٨ بتصرف

١٤. زيبب ، السابق:٢/ ٣٢٧ عن : ابن قطان في نظم الجمان لوحة ٤٣ب و انظر: حسن ابراهيم، تاريخ..: ٤/ ٢٩٩

١٥. زيبب، الموسوعة: ٢/٣٢٤

١٦.حسن ابراهيم : ٤/ ٤٦٨

١٧. انظر: أعز مايطلب /٢٤٠-٢٤١ تحت عنوان : (توحيد الباري سبحانه)

١٨.سالم، المغرب : ٢/٧٧٧

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

بدون الايمان و الاخلاص وهما يقتضيان بالضرورة العلم بالله ومعرفة وجوده تتم ضرورة بالعقل[1]و بذلك صرف الناس عن اتباع مذهب السلف الذي قد يجرّهم الى التشبيه و التجسيم[2] الناتج عن تشبثهم حرفيا بمبادئ الاشعري[3]وحثهم على العلم و التعقل و دعاهم الى التجدد و الانفتاح[4].

تفسير القرآن والحديث: فسّر ابن تومرت بنفسه القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ليثبّت نفسه كزعيم مذهب فيقبل الناس استدلالاته[5] و يبيّن اعتقاده بأن الشريعة الاسلامية يجب أن تقوم مباشرة على دراسة القرآن و الحديث[6]، ففتح بذلك باب التأويل و التفسير المجازي للقرآن المستخدم في تعريف صفات الله عن الاشاعرة[7]، والذي كان أهل المغرب يتركونه و يمرون المتشابهات اقتداءً بالسلف[8]، و حارب فكرة التجسيم الشائعة عندهم[9].

في الفقه: دعا ابن تومرت المؤسس الى الاجتهاد و نبذ التقليد، مستبعدا تعاليم الفقهاء القائمة على القياس و الاجماع[10] . وقد أكد رؤساء الموحدين بعده على متابعة دراسة القرآن و الحديث، والى جانبه استنباط قوانين وأنظمة وفق مقتضيات المجتمع المغربي الجديد. وعلى الصعيد المدنِ، فقد أصلح القضاء بتجديد الافكار و الاحكام، وطلب من الفقهاء اجتهاد انظمة وقوانين لإصلاح الحياة العامة[11]، و زاد أمراؤهم مرتبات القضاة والفقهاء وحدد عمل كل منهما، فاستعانوا بالقضاة على الفتن والعصيان، وبالفقهاء الاشتغال بالشريعة[12].

أما العلوم العقلية: الفلسفة والكلام، الذي بدأ التفكير بها في الاندلس مع التقاء المغاربة في رحلاتهم الى المشرق بأهل الرأي الفلسفي وأهل الاعتزال*[13] و لم يسلم اصحاب الفلسفة من فقهاء المغرب والاندلس التي كانت فتاواهم باتهامهم بالكفر و الزندقة تلاحقهم، مما اضطر انصار الفلسفة الى تاليف كتب لتبرئة ذمتهم من تلك التهم، فألف ابن باجة استاذ ابن رشد كتاب (تدبير المتوحد) قاصدا منه ربط الفلسفة بالتوحيد و اثبات استطاعة الانسان ان يتحد بالعقل الفعال دون معونة، وان تطهير النفس التدريجي بواسطة الاتحاد بالله هو مطلب الفلسفة[14]، ومؤكدا فيه على فصل الفلسفة عن المجتمع و تطمين الناس والحكومة على عجز الفلاسفة عن التأثير عليهما، انما غاية الفيلسوف منها هو اتصاله روحيا بالله[15].

تمكن بعض الفلاسفة الذين برعوا في الكلام والطب والفقه أيضا،بدفاعهم الصائب و باتزان رصين ان يتسنموا مناصب قاضي القضاة في قرطبة في نهاية عهد الموحدين، لكنهم لم يسلموا من الفكر المتحجر السلفي، وتعرضوا للإهانة والنفي وأحرقت كتبهم ولاسيما الفلسفة[16].

١.زيبب ، ٣٢٧/٢

٢. انظر: حسن ابراهيم، تاريخ.. : ٧٦٨/٤ و سالم، المغرب : ٢/ ٧٧٧

٣. زيبب ، الموسوعة : ٣٧١/٢

٤. م.ن ٣٣٨/٢ بتصرف

٥. م.ن ٣٢٤/٢

٦. سالم ، السابق : ٧٧٨/٢

٧. انظر: زيبب ، السابق : ٣٢٤/٢

٨. تاريخ ابن خلدون : ٢٩٩/١ و : العبر ، ابن خلدون ٤٦٧/٦

٩. سالم، المغرب : ٢/ ٧٧٧

١٠. م.ن نفس الصفحة

١١. زيبب ، السابق: ٢/ ٣٣٨ بتصرف

١٢. وجدي ، دائرة ..:٦٧٨/١

١٣. عمر فروخ، تاريخ .. ١٩٣/٤

١٤. زيبب ، السابق: ٣٤٧/٢

١٥. انظر: م.ن : ٣٧٢/٢ بتصرف

١٦. م.ن : ٣٧٣/٢ بتصرف

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

ظل نفوذ الفقهاء و تأثيرهم في الدولة و المجتمع، فلم يسلم علماء الموحدين رغم إبعادهم الفلاسفة و تقريب الفقهاء[1]، و اشتعل الصراع بين ملوك الموحدين المتوارثين و شيوخ المذهب لإعادة مذهبهم و تقوية مراكزهم والحفاظ على ثرواتهم و استقراطيتهم، مما أضعف البلاد وأدى الى طرد الموحدين من الاندلس عام ٦٢٨، وانسحابهم الى المغرب لمجابهة حركات الانشقاق والتمرد في افريقية[2].

تمكن الموحدون ما لم يتمكن غيرهم منه، باختيار آراء وعقائد اعتبروها صحيحة، من جميع المذاهب[3] لتوحيد الصف الاسلامي، و التفّ المسلمون حولهم لإظهار بذل نفوسهم في مصلحة الدين لمنع غارات النصارى على بلدهم، واستشهد كثير من مجاهديهم في تلك المعارك ، و تبعها الشقاق الداخلي ، مما سبب زوال دولتهم[4]، لكنهم لم يتمكنوا من تخليص مسلمي شمال افريقيا من ظل الفقهاء السلفية المصرّ في الالقاء عليهم.

تتبعنا للظرف الزمكاني لهذه البقعة المهمة من العالم الاسلامي يهدينا الى القول: إن الفكر الفقهي المالكي السلفي الناتج عن الارادة السياسية الاموية دام مسيطرا علي الفكر الاسلامي لتلك المنطقة و الملقي بظلاله و أفقه الضيق عليها، رغم انفتاح الشعب المغربي على الفلسفة.

فلإثبات هذا الفكر و نفي غيره من الافكار برزت الحاجة لإخراج تفاسير (أحكام القرآن) مستندة الى القراءات و الحديث و اللغة و خلواً من الفلسفة و الكلام، إلاّ في الفترة الاخيرة، و بالتحديد عهد الموحدين دخل قليل من الكلام كآلة وأداة لمقابلة غير مكاتبهم، التي كان للشيعة الحظ الاوفى، لاتباعهم مدرسة اهل بيت النبوة الذين اتخذهم الامويون اعداء لهم و حاربوهم وارغموا المسلمين على ذلك ترغيبا و ترهيبا. " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و يأبي الله إلاّ أن يتم نوره".

١ الذنون، افاق ../١١٥

٢. زيبب ، السابق: ٢/٤٠٤- ٤٠٥

٣. حسن ابراهيم ، السابق : ٤/٤٦٨

٤. انظر: وجدي ، دائرة ... : ١/٦٧٧- ٦٧٨

فهرس المراجع

[١] ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة- داذ احياء الكتب العربية تحقيق محمدابوالفضل ابراهيم

[٢] الادنروي احمدبن محمد- طبقات المفسرين، تحقيق سليمان بن صالح الخزرجي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكمة، ١٤٠٣هـ.

[٣] ابن حزم علي بن احمد بن سعيد الاندلسي، جمهرة انساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١/١٩٨٣ م.

[٤] ابن خلكان احمدبن محمد، وفيات الاعيان وانباء الزمان، بيروت، دارصادر.

[٥] ابن الخطيب، لسان الدين، الاحاطة في اخبار غرناطة، القاهره، مكتبة الخانجي، ١٩٧٣.

[٦] ابن الجوزي، المنتظم من تاريخ الملوك و الامم، بيروت، دارالفكر.

[٧] ابن حنبل احمد، مسند ابن حنبل، بيروت، دارصادر، لا تا.

[٨] ابن سعد محمد، الطبقات الكبري، بيروت، دارصادر، لا تا.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

[٩] ابن شهراشوب، مناقب ال طالب، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦هـ.
[١٠] ابن العربي القاضي ابوبكر، العواصم من القواصم، دارالجبل، لا تا.
[١١] ابن كثير اسماعيل ابو الفداء، البداية والنهاية تحقيق علي شيري، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط١/١٤٠٨هـ.
[١٢] ابن فرحون برهان الدين ابراهيم، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، دارالكتب العلمية، ط١/١٣٥١.
[١٣] ابن عذاري، البيان المغرب.
[١٤] ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مادريد، ١٨٩٠م.
[١٥] ابن خلدون عبدالرحمن، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار احياءالتراث العربي، ١٤١٠.
[١٦] ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط٤، لا تا.
[١٧] ابن النديم محمدبن اسحاق، الفهرست، تحقيق رضا تجدد،لا تا، لا مط.
[١٨] ابيض ملكة، التربية و الثقافة الاسلامية في الشام والجزيرة.. بيروت، دار العلم للملايين، ط١/١٩٨٠
[١٩] البستاني محمود، تاريخ الادب، في ضوء المنهج الاسلامي، بيروت، مجمع البحوث الاسلامية، ١٤١٠.
[٢٠] الداودي محمد بن علي، طبقات المفسرين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢.
[٢١] طهراني اقا بزرگ، تاريخ حصر الاجتهاد، تحقيق: محمدعلي الانصاري، قم، مطبعة الخيام، ١٤٠١.
[٢٢] الذهبي محمد حسين، التفسير و المفسرون، بيروت دارالكتب الحديثه، ١٣٧٦-١٩٩٦.
[٢٣] الذهبي، ميزان الاعتدال تحقيق محمدعلي البجاوي، بيروت، دار المعرفة، ط١/١٣٨٢.
[٢٤] العبادي، احمد مختار، في التاريخ العباسي و الفاطمي، بيروت دار النهضة، لا تا.
[٢٥] المالكي ابوبكر عبدالله، رياض النفوس، ج١، بيروت، دار المغرب الاسلامي،١٤٠٣.
[٢٦] بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة علي محمد النجار
[٢٧] البلاذري احمد بن يحيي، انساب الاشراف، تحقيق محمد باقرالمحموري، بيروت مؤسسة الاعلمي ط١/١٣٩٤.
[٢٨] البلاذري، فتوح البلدان، القاهره، مكتبة النهضة، ١٣٧٩.
[٢٩] الذنون عبدالحكيم، افاق غرناطة، دمشق، دارالمعرفة ط١/١٩٩٦.
[٣٠] الزركلي خير الدين ، الاعلام، بيروت، دارالعلم للملايين، لا تا.
[٣١] الزرقاني محمدعبدالعظيم، مناهل العرفان، بيروت، دارالفكر، ط١/١٩٩٦.
[٣٢] جعفريان رسول، تاريخ تحول دولت و خلافت.. قم، دفترتبليغات اسلامي، ١٣٧٧.
[٣٣] حاجي خليفة مصطفي بن عبدالله القسطنطيني الرومي، كشف الظنون عن اسامي الكتب و الفنون، بيروت، دار الكتب العلمية، لا تا.
[٣٤] حسن حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي والديني، مصر، مكتبة النهضة، ١٩٦٧.
[٣٥] السيوطي جلال الدين عبدالرحمن، الاتقان في علوم القران، بيروت، المكتبة الثقافية، ١٩٧٣.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

[٣٦] سيد قطب، العدالة الاجتماعية، دار الشروق ط٢/١٩٨٩-١٤٠٩.
[٣٧] الثقفي ابراهيم بن محمد، الغلات تحقيق جلال الدين المحدث، كتابخانه ملي.
[٣٨] العلي احمد صالح، الكوفة واهلها في صدر الاسلام، بيروت، شركة المطبوعات، ط١/٢٠٠٣.
[٣٩] المسعوي، التنبيه والاشراف لا تا، لا مط.
[٤٠] نصر بن مزاحم، وقعة صفين
[٤١] المرعشلي محمد عبد الرحمن، فهارس الجامع لاحكام القرآن، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط١/١٤١٤.
[٤٢] الصدر محمدباقر، المدرسة القرانية، ط٢، بيروت، دارالتعارف للطباعة، ١٩٨١.
[٤٣] المقدسي شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل، تراجم رجال القرنين السادس والسابع- بيروت، دار الجبل، ط٢/١٩٧٤.
[٤٤] السنوسي مفتاح بلعم، القرطبي حياته واثاره العلمية و.. بتغازط، ط١/ ١٩٩٨
[٤٥] سالم عبدالعزيز، تاريخ المغرب الكبير، بيروت، دار النهضة، لا تا.
[٤٦] سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس مكتبة النجلو المصرية، ط٢/١٩٨٦.
[٤٧] عثمان محمد فتحي، المدخل الى التاريخ الاسلامي، ط١، بيروت، دارالنفائس، ١٩٨٨.
[٤٨] عباس احسان، عصر سيادة قرطبة، عمان، دار الشروق، ١٩٧٧.
[٤٩] عباس احسان، تاريخ الادب الاندلسي، ط١، عمان، دارالشروق، ١٩٧٧.
[٥٠] الوافي ابراهيم، الدراسات القرآنية في المغرب في القرن الرابع عشر الهجري، الدار البيضاء، مطبعة النجاح، ١٩٩٩م.
[٥١] فروخ عمر، تاريخ الادب العربي، بيروت، دارالعلم للملايين، ١٩٩٢.
[٥٢] زبيب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الاندلس، لا تا، لا مط.
[٥٣] المقري احمد بن محمد، نفح الطيب في ... تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
[٥٤] الفرت يوسف عبد الرحمن، القرطبي المفسر سيرة ومنهج، الكويت، دارالقلم، ١٩٨٢-١٤٠٢.
[٥٥] معرفت محمد هأدى، التفسير و المفسرون، ط١، مشهد، بنياد پژوهشهاي اسلامي، ١٣٧٨.
[٥٦] القصبي زلط محمود، القرطبي ومنهجه في التفسير، ط١، القاهرة، دارالانصار، ١٣٩٩.
[٥٧] الطرهوني محمد رزق، التفسير و المفسرون في غرب افريقيا، الدمام، دار ابن الجوزي، ط١/١٤٢٦.
[٥٨] المشيني مصطفي ابراهيم،المدرسة التفسيرية في الندلس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٠٦-١٩٨٦.
[٥٩] متـــز ادم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع، ترجمة هادي ابوريده، القاهرة، مطبعة، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ١٣٥٩-١٤٠٠.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]

بررسی علل و عوامل رویکرد فقهی مکتب تفسیری اندلس تاقرن هفتم

کاظم قاضی‌زاده[1] ، صادق آیینه‌وند[2]، رضیۀ رجب طهمازی[3]

تاریخ دریافت:۱۳۸۵/۱۱/۸ تاریخ پذیرش:۱۳۸٦/۵/۷

این بژوهش در تلاش به پاسخگویی این سؤال است: چرا تفاسیر فقهی یااجتهأدی فراوانی بانام (احکام القرآن) در اندلس تا قرن هفتم به‌وجود آمد؟

منابع تاریخی و تفسیری در این بژوهش ، بازخوانی شده اند وروش بکارگرفته شده توصیفی – تحلیلی بوده که هدف کشف عوامل تشکیل دهندۀ رویکرد مکتب تفسیری بسمت فقه است که عمده ترین آنها عبارتند از: خواست سیاست امویها- قرائتها واثر انها بر بروز مذاهب مختلف – ویژگی خاص اجتماعی وعقیدتی اندلسیها- بازگرداندن جایگاه واعتبار به مذاهب سنی و ظهور حکومتهای دینی سلفی.

درسایه عوامل ذکرشده، راهی بازشد تا قرائتهای قرآن امور مسلمانان را در اندلس تحت الشعاع قرار دهد تاجایی که مردم بدانها مشغول و غرق شوند، در نتیجه از آموختن قرآن و أحأدیث تا قرن سوم به دور ماندند.

بدیهی است که اختلاف درقرائتها بیان احکام خود را و ظهور مذاهب وگرایشهای فقهی نیز به دنبال دارد. هرکدام از آنها آن گونه که مذهب خویش را بزرگ می نمود وباعث تضعیف دیگر مذاهب می‌شد، تفسیر می‌کرد، لذا تفاسیر فقهی یا اجتهادی گوناگونی به وجود آمدند.

جنبش تفسیری در اندلس باتأخیر آغاز شد و معدود کسانی در قرن سوم نام آورشدند. دولت اموی نیز مذهب مالکی مبتنی بر حدیث سلفی بر آنها تحمیل می‌کرد. دردورۀ مرابطین سلفی، تفسیر رشد و نمو یافت و به‌دست شیخ ابن عطیه در دورۀ موحدین به بلوغ خود رسید. سپس در قرن هفتم قرطبی دریچه‌ای بسوی اجتهاد گشود و مذاهب چهارگانه(اهل سنت) را باتفسیر خود (الجامع لأحکام القرآن) جمع نمود، که آن را می‌توان پایان این رویکرد فقهی در آن قرون نامید.

واژگان کلیدی: مکتب تفسیری اندلس، قرائتهای قرآنی، تفاسیر فقهی، درگیری مذاهب، احکام قرآن

۱. استادیار، گروه علوم قرآن و حدیث، دانشگاه تربیت مدرس، تهران

۲. استاد، گروه تاریخ، دانشگاه تربیت مدرس، تهران

۳. دانشجوی دکتری، گروه علوم قرآن و حدیث، دانشگاه تربیت مدرس، تهران

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-01-16]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1429.15.3.4.9]